حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السابع . شوال ١٤٣٨هـ / تموز ٢٠١٧م

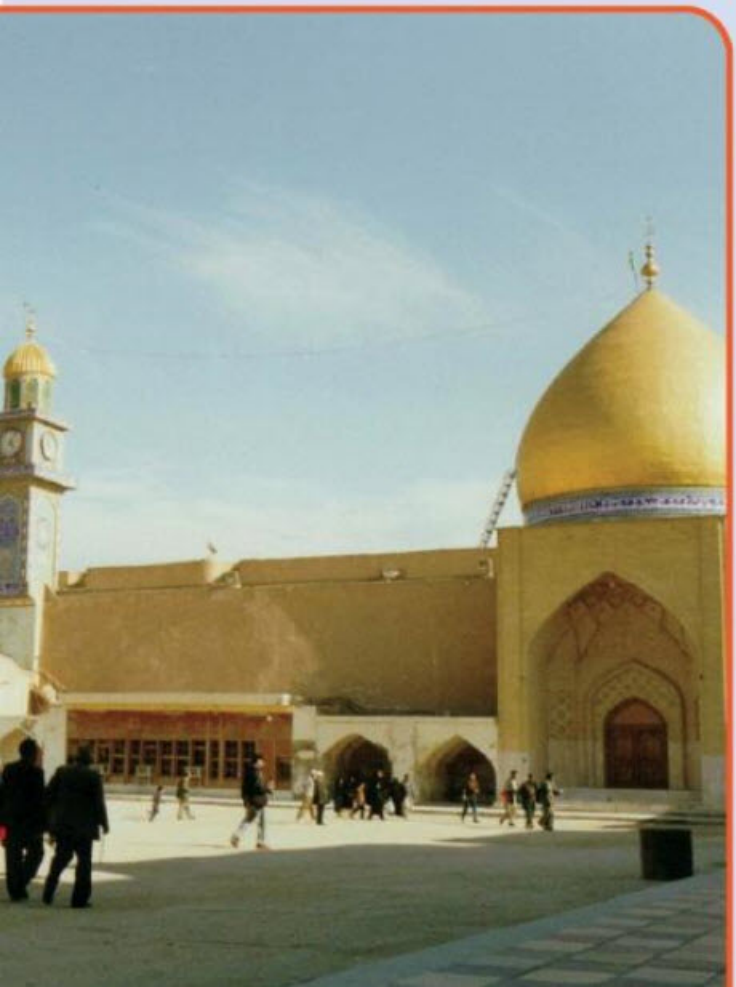

٧

دار الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

الاتجاهات السّياسية في الكوفة في القرن الأوّل الهجري

الأستاذ محمّد تقي كنبوه

بعد تمصير الكوفة وتحولها من معسكر من الخيام إلى بيوت من الخصاص «حصران من الخوص» ومن ثمّ إلى دور مبنية من الطّين واللبن ثمّ إلى دور من الآجر والجص صارت مدينة كبيرة سكنها الجند الفاتح وعوائلهم، سكنها كذلك الموالي حلفاء العرب، وكذلك المسيحيين من الأنباط والعرب الّذين كانوا في الحيرة والبادية وعين التّمر، وبعد زمن جاء إلى الكوفة بعض الحجازيين الّذين أقطعت لهم الأراضي في سواد الكوفة «أي ريفها».

فهؤلاء لم يكونوا جميعاً على رأي واحد، فكانت اتجاهاتهم السّياسية متباينة، وكان التّنافس والحسد بينهم على أشدهما، وكانت هناك خصومات بين بعض القبائل، إلا أنّها لم تبلغ إلى مرحلة النّزاع المسلح لأنّ الخصومات كانت سياسية ومعظم القبائل كانت يمنية قحطانية، حتّى المسيحيين منهم.

الخصومة بين القبائل العربية في الكوفة:

منذ أوائل العهد الأموي كان الحسد والتّنافس قد أضعفا القبائل العربية ولكنه لم يصل إلى حد إشهار السّلاح والعنف، لأنّ النّزاع كان بين الأحزاب السّياسية.

الأحزاب السّياسية في الكوفة:

قبل أن أدخل في موضوع الأحزاب السّياسية ينبغي أن أذكر بأنّ الأحزاب السّياسية آنذاك لم تكن كما هي اليوم ذات قيادات ولجان وسجلات وفروع.. الخ بل كلّ ما كان هو أنّ جماعة من النّاس الّذين كانت لهم آراء موحدة واتجاه سياسي واحد يؤلفون حزباً، ولكلّ حزب رؤساء وشخصيات بارزة، فعلى هذا النّحو كانت في الكوفة خمسة أحزاب:

أوّلاً- حزب آل البيت أو شيعة علي وكان عدد أفرادها كبير جداً يؤلفون ٨٠ بالمئة من مجموع سكان الكوفة بما فيهم المسيحيون الّذين جميعهم كانوا شيعة لعلي كما أنّهم يؤلفون ٦٥ بالمئة من مسلمي الكوفة، فالقبائل اليمنية القحطانية كانت جميعها بشتى بطونها شيعية إلا من شذ منهم.

ثانياً- شيعة بني أمية وكانوا قليلي العدد والأفراد من مختلف القبائل اليمنية ولم تكن هناك قبيلة كانت برمتها من شيعة بني أمية.

ثالثاً- أعداء علي وآله وهي القبائل التّالية: ١- قريش، ٢- هوازن، ٣- ثقيف، أمّا سبب عداوتهم لعلي هو أنّ قريشاً كانت تطلبه بثارات معارك بدر وأحد والخندق، أمّا هوازن وثقيف فكانت لهم ثارات معركة حنين لأنّ علياً كان قد قتل أعداداً من فرسانهم وأبطالهم وشجعانهم ولم يبق هناك بطن من بطونها لم يقتل علي من رجالها، وقد عصبوا تلك الثّارات من بعده في آله.

رابعاً- خصوم الشّيعة ويتمثلون في القبيلتين المضريتين تميم وأسد، أمّا موالي «حلفاء» بني أسد فكانوا قاطبة من الشّيعة، وكانوا حلفاء من غير العرب، ومع أنّ القبيلتين كانتا خصماً للشيعة إلا أنّهم لم يكونوا في حزب أمية.

خامساً- المحايدون وهم البقية الباقية من أهل الكوفة فلم يكونوا إلى هؤلاء وإلى أولئك.

القبائل الشّيعية:

أوّلا- همدان، هذه القبيلة القحطانية اليمنية ذات الشّوكة والبأس والعدد، كان أفرادها قاطبة شيعة رجالاً ونساء، ومن أكثر النّاس تحمساً وتفادياً وتضحية لعلي، وكان عددهم كبيراً لأنّهم كانوا أكثر القبائل عدداً.

(*) عن: مجلة العرفان اللبنانية المجلد ٦٩، العدد ٣ و٤، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

بطون همدان:

١- أرحب

٢- شبام

٣- شاكر

٤- حارث

٥- السّبيع

٦- يام

٧- ثور

٨- ناعط

فهذه البطون لم يشذ أحد منها عن التّشيع، وقد مدحهم علي وأثنى عليهم وخاطبهم بقوله: «أنتم درعي ورمحي»، وفي مورد آخر قال:

ناديت همدان والأبواب مغلقة
ومثل همدان سني فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه
وجه جميل وقلب غير وجاب

وفي معركة صفين يوم ٩ صفر قال:

فلما رأيت الخيل تقرع بالقنا
فوارسها حمر العيون دوامي
وأقبل وهج في السّماء كأنه
غمامة ليل ملبس بقتام
ونادى ابن هند ذا الكلاع وحوشيا
وعمروا بجند فلسطين وشام
تيممت همدان الّذين هم هم
إذا ناب أمر جنتي وحسامي
دعوت فلباني من القوم عصبة
فوارس من همدان غير لئام
فوارس من همدان ليسوا بعزّل
غداة الوغى من شاكر وشيام
ومن أرحب الشّيم المطاعين بالقنا
وجرهم وأحياء السّبيع وبام
ومن كلّ حي قد أتتني فوارس
ذوو نجدات في اللقاء كهام
يقودهم حامي الحقيقة منهم
سعيد بن قيس والكريم محامي
فخاضوا لظاها واصطلوا بشرارها
وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
لهمدان أخلاق ودين يزينهم
ولين إذا لاقوا وحسن كلام
أناس يحبون النّبي ورهطه
سمام العدى في كل يوم خصام
فلو كنت بواباً على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ثانياً- كنده، كلّهم كانوا شيعة سوى أسرة ملكهم الأشعث بن قيس، وبعض الشّواذ.

ثالثاً- طيء جميعهم وبطونها نبهان، جديله، سلامان، خارجة.

رابعاً- الأزد، جميع بطونها وأفرادها ومنها خزاعة.

خامساً- حضرموت.

سادساً- مذحج قاطبة المسلمون منهم والمسيحيون، ومن بطونها النّخع وزبيد وجناب.

سابعاً- بنو مره ومنهم بنو لخم.

ثامناً- خولان، إلا من شذ منهم.

تاسعاً- قضاعة، وبطونها جذام، كلب، الأوس، الخزرج، بهراء، نهد، تنوخ، أسلم، تيم اللاة، بن ثعلبة، وهؤلاء منهم سكن بادية عين التّمر وبادية الشّام ومنهم من سكن الجزيرة «ما بين النّهرين» في القسم الشّمالي، كبهراء وبجيلة، وتغلب.

فهذه القبائل الأربعة كانوا مسيحيين «أي بني كلب وبهراء وبجيلة وتغلب».

وحينما سار الإمام علي لغزو الشّام انحدر أربعة آلاف فارس من الجزيرة والتحقوا به في الطّريق، فحين قدموا قال لهم علي: لا جهاد عليكم، فقالوا: «نحن جئنا ننصرك فانضموا لجنده».

نساء همدان والمناحات على الحسين:

لما قدم الكوفة جحفل عمر بن سعد المسلمين بسبايا آل بيت نبيهم خرجت نساء همدان باكيات ناحبات معولات، ثمّ أقمن المآتم والمناحات في دورهن لعدة أيّام، وعلى هذا كن أوّل من بكى على الحسين ورثاه.

والسّؤال الآن هو أين كان رجال همدان وبقية رجال الشّيعة حين قدم الحسين العراق ولِمَ لم يستقبلوه وينصروه والجواب هو:

أوّلاً: كان عبيد الله بن زياد أمير الكوفة قد أودع في السّجون كافة رؤساء الشّيعة وعدد كبير من غيرهم، حتّى قيل أنّه بلغ عددهم أربعة آلاف، أمّا البقية فمنهم من خرج من الكوفة ومنهم من قعد في داره لا يبارحها ولم يلتحق بالحسين سوى بضع عشر رجلاً، أمّا الهمدانيون الّذين كانوا في جحفل ابن سعد وعددهم خمسون رجلاً، فقد انضموا جميعاً إلى الحسين، هذا كلّ ما كان من أمرهم.

ولنتساءل الآن؟ أما كان الأجدر بهم جميعاً، ألم يكن لزاماً عليهم أن يستقبلوا الحسين وينصروه، يفعلون ذلك قبل أن يزجوا في السّجون وأن يتحصنوا ضد ابن زياد، بدل الخروج من الكوفة والقعود في الدّور.

ثانياً: التّخاذل، فقد تخاذلوا، والكوفيون قد اشتهروا به وبعدم الثّبات والصّبر والشّقاق.

النّدم والتّوبة:

غب شهادة الحسين أخذت الشّيعة بالتّلاوم فيما بينها وندمت على عدم نصرتهم للحسين، ثمّ صاروا يتهيئون للأخذ بثأر الحسين وأصحابه ويعدون السّلاح والتّجهيز، ودامت الحالة هذه سنوات، وقد اختلفوا كذلك في كيفية الأخذ بالثّأر، فجماعة منهم سموا أنفسهم بالتّوابين كانوا يرون المسير إلى الشّام ومقاتلة بني أمية هناك أوّلاً، وفريق آخر كان يرى أخذ الثّأر أوّلاً من الّذين قتلوا الحسين وأصحابه كلّهم كانوا في الكوفة، وكان يرأس الجماعة الأولى، وهم الأقلية، سليمان بن صُرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري ورفاعة بن شهراد وعبد الله بن دال أمّا الفريق الثّاني فكان يرأسهم المختار بن أبي عبيد الثّقفي وإبراهيم بن مالك الأشتر النّخعي، وسأفرد مقالة حول هذا الموضوع وما يختص بالتّوابين والمختار وكيفية أخذ الثّأر.

تقي كنبوه «الكربلائي»

❖❖❖